

باب أهل الزكاة ومن لا تدفع له

[باب: أهل الزكاة ومن لا تدفع له] لا تدفع الزكاة إلا للأصناف الثمانية الذين ذكرهم الله تعالى بقوله. { تَمَّا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } [التوبة: 60]. ويجوز الاقتصار على واحد منهم، لقوله -صلى الله عليه وسلم- لمعاد: { فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم: إن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم } متفق عليه رواه البخاري رقم (1395) في الزكاة، ومسلم رقم (19) في الإيمان. .

[باب: أهل الزكاة ومن لا تدفع له] قوله: { لا تدفع الزكاة إلا للأصناف الثمانية الذين ذكرهم الله تعالى بقوله: ...إلخ: } ثبت أن وجلا جاء يسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- من الزكاة فقال: { إن الله لم يرض فيها بسمي ولا يقسم أحد حتى تولى قسمها، فإن كنت من أهلها الذين سماهم الله أعطيتك } رواه أبو داود رقم (1630)، ولفظه: "إن الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم هو فيها جزأها ثمانية أجزاء، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك، وضعفه الألباني في الإرواء رقم (859). وهو في شرح الزركشي رقم (1200). فثبت بذلك أن الله تعالى هو الذي تولى قسم الزكاة، كما أنه هو الذي فرض الفرائض، فيقتصر على هذه الأصناف الثمانية المذكورة في هذه الآية. وقوله: (إنما) تغيد الحصر، أي: لا تصلح إلا لهذه الأصناف الثمانية. الصنف الأول والثاني: الفقراء والمسكين، بدأ الله تعالى بالفقراء والمسكين، وذلك لأهم الأغلأب والأكثر، والفقراء أشد حاجة، وذلك لأن الفقر مشتق من الفقار الذي هو انكسار الظهر، والظهر يسمى فقارا، فكان الفقير من شدة حاجته مكسور الظهر بحيث لا يستطيع تكسبا ولا يستطيع تقبلا، وأما المسكين فإنه مشتق من السكون؛ وذلك لأنه لحاجته كأنه ساكن الحركة لا يستطيع تقبلا ولا تكسبا. فإذا ذكرا معا الفقير والمسكين، فالفقير أشد حاجة، قال بعضهم: الفقير هو الذي يكفيه كسبه أقل من نصف شهر، فإذا كان راتبه مثلا أو دخله من صعة أو نحوها يكفيه أربعة عشر يوما أو ثلاثة عشر يوما، وهذه المدة أقل من نصف شهر فسميه فقيرا، لأنه بقية الشهر يقترض، أو يتصدق عليه. أما المسكين: فهو الذي يكفيه دخله عشرين يوما أو ثمانية عشر أو نحو ذلك، أي: أقل من الشهر، وبقية الشهر يقترض أو يتصدق عليه. هذا تفرقه بين الفقير والمسكين. وكثيرا ما يذكر الله تعالى الفقراء ويحث على الصدقة عليهم، ويصفهم بأوصاف يستحقون بها الصدقة. قال تعالى: { إِنَّ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ قَبِيحًا هِيَ وَإِنْ تُخْفَوُهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَبْرٌ لَكُمْ } [البقرة: 271] فقد اقتصر الله على الفقراء، ثم قال: { لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ صَرًّا فِي الْأَرْضِ } [البقرة: 273] إلى آخر الآية؛ اقتصر أيضا على الفقراء، وفي آية أخرى قال تعالى: { لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ } [الحشر: 8] فقد اقتصر الله على الفقراء في هذه الآيات. وقد يقتصر أحيانا على المسكين كقوله تعالى: { وَلَا تَخَاطَبُونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ } [الفجر: 18] { وَلَا تَخْضَنَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ } [الماعون: 3] { أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ } [البلد: 16] { فَكَمَا رُئِيَ إِطْعَامٌ عَشْرَةَ مَسْكِينٍ } [المائدة: 89] { قَمْرٌ لَمْ يَسْتَطِعْ قِاطِعًا سَبِيحًا } [المجادلة: 4] فهنا اقتصر الله تعالى على المسكين، ولا شك أنه يدخل فيه الفقراء، فإنهم أولى بالإطعام وأولى بالصدقة، ولكن نظرا للأغلب فإنه إذا اقتصر على المسكين دخل فيه الفقراء، وإذا اقتصر أيضا على الفقراء دخل فيه المسكين. الصنف الثالث: العاملون عليها: أما العاملون عليها فهم الجباة الذين يجمعونها، فهم يجبون الزكاة ويجمعونها من أهلها، ويسمون العمال والعاملين. كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يبعث من يجبي الصدقات من أهلها وبالأخص من البوادي؛ وذلك لأن أغلب أموال الناس في ذلك الزمان هي بهيمة الأنعام، فكان يحتاج إلى من يذهب إليهم ليجمعها، فيعطى الذين يذهبون أجرتهم أو حقا مقابل تعيهم ومقابل عملهم، ولكنه يهتمهم على الأمانة، ويحثهم على ألا يخونوا ولا يخفوا شيئا من الصدقة، ويقول لهم ما معناه: أعطوا من راتبكم مستحقا الزكاة من الفقراء، فإذا أتيتم إلى البوادي: هذا غني عنده زكاة غنم وإبل، وهذا فقير ليس عنده شيء، فلكم أن تأخذوا من هذا الغني وتعطوا هذا الفقير، وما بقي معكم فإنكم تأتون به إلينا لتتولى توزيعه ونعطكم حق أتباعكم وأجرتكم، وكان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يهتمهم على ذلك. وقد ورد في حديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: { هذاها العمال فجاء غلوا } رواه أحمد في المسند (5 / 425)، وصححه الألباني في الإرواء رقم (2622). ومعناه: إن العامل لا يقبل هدية من أحد عن الزكاة، وكذلك لا يقبل صياغة، مخافة أنه إذا قبل صياغة أو قبل هدية فإنه قد يتغاضى عن صاحبها، وإذا لم يهد له أو لم يكرمه ولم يضيفه ظلمه وزاد عليه وأخذ منه ما لا يستحق، بل يكون عفيفا، ويكون بعيدا عن أن يستضيف عند أحد، أو يقبل من أحد هدية، فإذا أهدى إليه فلا يقبل الهدايا. وفي قصة ابن التيبية أن الرسول عليه الصلاة والسلام بعثه مزكيا للأغنام والإبل فجاء وقال: هذا لكم وهذا أهدي إلي، فقبض النبي -صلى الله عليه وسلم- وقام خطيبا وقال: { ما بال عامل أبغته فيقول: هذا لكم وهذا أهدي لي؟! أفلا قعد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أبهدي إليه أم لا؟! } ثم أخذ يوبخهم على الغلول فقال: { والذي نفس محمد بيده لا يأخذ إنال أحد منكم منها شيئا إلا جاء به يوم القيامة فكأنه على عنقه؛ بعير له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة بعير } رواه البخاري بنحوه رقم (7174) في الأحكام، ومسلم رقم (1832) في الإمارة. . وأخذ يعهد من أصناف المال، بكلمة يعرض بأن هذا الفقير يعطى غلوا. والله تعالى يقول: { وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [آل عمران: 161] أي: عقوبة له أنه يحمل ما غله، ويأتي به حتى يتمنى التخلص منه. فاعتبر هذا هدية؛ واعتبره غلوا؛ لأنه إذا أهدى إليه تغاضى معهم، فإذا جاء إلى أناس وزكائهم -مثلا- عشر من الغنم وخمس من الإبل المتوسطة، فأهدوا إليه شاة أو صيفوه وأكرموه، فإنه يستحي منهم، فيأخذ من الغنم رديتها، ومن الإبل رديتها، فيأخذ منهم دون ما يجب عليهم؛ لأنهم كرموه وأهدوا له، فبدلا من أن يأخذ الشاة التي قيمتها أربعمئة يأخذ ما قيمتها مائتان وهكذا. فهذا ظلم للفقراء، وهذا يعتبر غلوا، وأما إذا لم يقبل هديتهم فإنه يأخذ الواجب، وقد تقدم أنه يأخذ الأوسط، فلا يأخذ الأدنى والأدوم، ولا يأخذ الخيار والنفيس. وفي زماننا هذا تفرص الحكومة للعمال رواتب شهرية كساتر الموظفين، فإذا كان كذلك فإنه لا يحق لهم أن يخفوا شيئا من هذه الزكوات، بل يعثرون كوكلاء ويخفونها في بيت المال، ولا يحل لهم منها شيء لا قليل ولا كثير، وذلك لأن الحق الذي فرضه الله لهم، إنما هو إذا لم يكن لهم شيء مسمى من الدولة، فإذا قيل لهم: لا تعطيتكم شيئا، ولن يفرض لكم شيئا ولكن خذوا قدر ما تستحقونه من إعاشتكم ومن مكافأتكم، فيأخذون بقدر حقهم، فلا ظلم على العامل ولا ظلم على الموكل، أما إذا فرض لهم فليس لهم أن يتجاوزوه. الصنف الرابع: المؤلفعة قلوبهم: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعطي المؤلفعة قلوبهم تأليفا لهم، إما قائدًا يرحى إسلامه، أو يرحى إسلام نظيره، أو يرحى كف شره، أو يرحى بعطيته قوة إيمانه، أو يرحى أنه يتولى جباية الزكاة من قومه، فإذا لم يعط فإنه لا يجبي الزكاة؛ بل يجدها أو يمنها، فهؤلاء سادة في قومهم مطاعون يعطون تأليفا لهم؛ حتى يؤمن شرهم، وحتى يقوى إيمانهم، وحتى يكونوا ناصحين ومخلصين لولي الأمر، فهذا هو سبب إعطائهم. فلما كان في عهد عمر رضي الله عنه وقوى الإسلام وتمكن وصار الغادة والسادة الذين في أول الإسلام يخاف من شرهم؛ صاروا كاحاد الناس من يعطهم من الزكاة، وقال: إن الله قد نصر الإسلام، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. وفي قصة عمار بن حصن عندما وفد إلى المدينة وكان ابن أخيه الحر بن قيس من جلساء عمر رضي الله عنه، وكان جلساء عمرهم الفراء شبابا كانوا أو شبيا، فقال عيينة لابن أخيه: لك يد عند هذا الأمير اشفع لي حتى أدخل عليه، وكان قد اشتكى أن عمر لم يعطهم ما كان يعطيهم النبي -صلى الله عليه وسلم- فدخل عليه وقال بصوت جهوري: "هيه يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم فينا بالعدل"، فهداه كلمة نابية جافية من أحد أجلاف العرب، وغضب عمر وكاد أن يبطش به، ولكن ابن أخيه حثه على العفو، وقرأ عليه قول الله تعالى: { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } [الأعراف: 199] فوالله ما جاوزها وكان واقفا عند كتاب الله. وكان عيينة بن حصين هذا من المؤلفعة قلوبهم، وهو والأقرع بن حابس، ففي صحيح مسلم رواه مسلم رقم (1060) كتاب الزكاة. أنه -صلى الله عليه وسلم- لما انتصر على هوازن وقسم غنائهم قسم الإبل فأعطى عيينة بن حصين مائة من الإبل، وأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى شاعرا من شعراء بني سليم وهو العباس بن مرداس أقل من المائة، فأنشأ يقول: أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداسا في مجمع وما كنت دون امرئ منهما من يخفض اليوم لا يرفع يعرض بالأقرع وعيينة، فدل على أنهما ممن كان يتألفهم النبي -صلى الله عليه وسلم- فلما كان في عهد عمر قطع هذا التأليف وأسقط حقهم. اتصل بي مرة من البحرين أحد الجهلة من أهل السنة، الذين اندعوا بمن عندهم من الرافضة الذين طعنوا في عمر، فقالوا: إن عمر قد أسقط حقا في كتاب الله، أسقط حق المؤلفعة قلوبهم، وهو في القرآن، فجعلوا ذلك طعنا، فاجتبت لهذا الهدى صدقهم، فقلت له: إن التأليف يستعمل عند الحاجة إليه، فهو لم يسقط الآية ولم يسقط حقهم الذي في الآية، بل الآية موجودة، ولكنه رأى أن التأليف هو مناسبة وله وقت، فإذا لم يجد إلى التأليف لقوة الإسلام فلا حاجة إلى إعطائهم؛ لأن هذه الصدقات تبخر من الناس لمن يستحقها، وهؤلاء أغنياء وأثرياء ويعطونهم ما دام الإسلام قويا. الصنف الخامس: في الرقاب: ويراد بهم المكاتبون، فالعبد الذي يشتري نفسه بثمن مؤجل، ثم يخلي بينه وبين الحرفة ويبدأ بحرفة ويتكسب، وكلما حل نجم أعطاه، فقد لا يقدر على تحصيل ذلك النجم أو ذلك القسط في تلك السنة لعجز أو لقله مصالح، فيتصدق عليه، ويعطى من الزكاة؛ حتى يخلص نفسه ويفك رقه. ويجوز لمن كان عنده زكاة كثيرة أن يشتري رقيفا ويعتقه؛ لأن هذا من الرقاب. الصنف السادس: الغارمون: وقد قسم الغارم إلى قسمين: الأول: غارم لنفسه أو لحاجته؛ وهو المدين الذي استدان وتحمل دينا لهذا ولهدا ولهذا، وكثرت الديون التي عليه، فلم يف بها ماله، ولو كان مظهره مظهر الأغنياء، ولو كان ينفق ويكرم ويطلق ويحبس فخر الثياب ويركب فاخر السيارات وما أشبه ذلك، ولكن تراكمت عليه الديون، فلم يستطيع وفاءها، فهو من الغارمين. ومع ذلك يرشد إلى أنه لا يحل له هذا الإسراف ما دام أنه مدين، وأن عليه أن يحرص على إبراء ذمته ووفاء الدين الذي عليه؛ حتى لا يبقى مطالبا بحقوق الناس، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- { من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله } رواه البخاري رقم (2387) في الاستقراض. وقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- ينهى عن الدين فعن محمد بن جحش قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "والذي نفسي بيده لو أن رجلا قتل في سبيل الله، ثم أحيا، ثم قتل، ثم أحيا، ثم قتل، وعليه دين، ما دخل الجنة حتى يقضى عنه". أخرجه السنائي (7 / 314، 315). والحاكم (2 / 25). وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الأرناؤوط في تحقيق السنة (81 / 1، 2): { إنسانه حسن. والأحاديث في هذا الباب كثيرة. أي: إن يستدين الإنسان إلا للضرورة، حتى إنه كان لا يصلي على الميت إذا كان عليه دين لم يخلف عنه وفاء سبق تخريجه صفحة إلا إذا تحمله أحد أصحابه، إلا في آخر الأمر كان يتحمل الديون عن الأموات ويوفيهما من بيت المال، ويقول: { أنا أولى بالمسلمين من أنفسهم، من ترك مالا فلورثته، ومن ترك دينا فالي وعلي } رواه البخاري رقم (5371) في النفقات، ومسلم رقم (1619) في الفرائض. . والثاني: الغارم لإصلاح ذات البين: وصورة ذلك إذا وقع بين طائفتين قتال، جئت إليهم وأصلحت بينهم، وقلت لهم: إنا أتحمم لكم أيها القبيلة بألف، وأتحمم لكم أيها القبيلة الأخرى بألفين، على أن تسقطوا حقوقكم، فهذه الآلاف التي تحملتها لا تكلفكم أن تدفعها من مالك ولو كنت ثريا وغنيا؛ لأن فيها تكلفا كبيرا فيه شيء من الإجحاف في أموال ذوي الجاه؛ فلذلك تستحق أن تأخذها من الزكوات. وفي حديث قبيصة قال: تحملت حمالة لإتاحت النبي -صلى الله عليه وسلم- أسأله من الزكاة، فقال: { اجلس عنديا حتى تأتينا، فإنه أتى الله أو الصدقات- فأنامر لك بها } رواه مسلم رقم (1044) في الزكاة. لأنه تحمل حمالة لإتاحت ذات البين. الصنف السابع: في سبيل الله: قال أكثر العلماء: إنه يراد به أهل العلم؛ أي أنه يصر في سبيل الله، فيجهز به الغازي الذي ليس له راتب مثلا، وكذلك أيضا يدفع في العتاد، كسلاح ودروع وأدوات للقتال وما أشبه ذلك، ونفقات للمهاجرين إذا لم يكن لهم ما يكفهم، فكل ذلك داخل في سبيل الله، وأكثر ما ترد هذه الكلمة للجهاد { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } { آل عمران: 169 } { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُوكُمْ } [البقرة: 190] ونحو ذلك. لكن ذكر بعض العلماء أن الكلمة عامة، وأن سبيل الله في الأصل هو كل أمر يوصل إلى رضاه، فكل شيء يحبه الله ويرضاه فإنه من سبيل الله، فأدخلوا في ذلك كثيرا من الأعمال الخيرية فأدخلوا فيه بناء المساجد وقالوا: هي من سبيل الله، وأدخلوا فيه بناء المدارس وعمل الفناطر وإصلاح الطرق التي يحتاج إليها المسلمون وليس هناك مالية تكفيها، وكذلك أيضا تصرف للدعاة الذين ليس لهم قدرة على التكلم بالدعوة، وكذلك المعلمون عند الحاجة إليهم، ومعلم القرآن، وهكذا أيضا نشر العلم الذي يدخل فيه -مثلا- طبع الكتب ونسخ الأشرطة الإسلامية ونشرها وما أشبه ذلك، فقالوا: هذه كلها داخلية في سبيل الله، فإذا لم يوجد من يتبرع بها فإنه ينفق عليها من الزكاة. ولكن الأكترون قالوا: لا تدفع من الزكاة، وسبيل الله الخاص بالمجاهدين وبالجهاد. وعلى كل حال إذا تعطلت هذه الأشياء فتعطلت الدعوة وتعطل الدعاة وتعطل نشر العلم وتعطل تحفيظ القرآن، ولم يوجد من ينفق على ذلك إلا الزكاة فعند ذلك يجوز، ولكن إذا وجد من يتبرع ببناء المساجد ويتبرع بإعاشة الدعاة -مثلا- ويتبرع بطبى كتب العلم وما أشبه ذلك؛ فإنها لا تصرف من الزكاة. الصنف الثامن: ابن السبيل: وعرفوه بأنه المسافر المنقطع الذي سافر من بلده، ووصل إلى بلاد أخرى، ولكنه انقطع عن الوصول إلى أهله، ولم يستطيع الرجوع إليهم، ولو كان غنيا في بلده، ولكن لا يستطيع أن يصل إليه شيء من ماله. ويتصور هذا في الأزمنة القديمة أما في هذه الأزمنة، فإن في إمكانه أن يتصل بأولاده -مثلا- وبأمرهم بأن يرسلوا له مالا بواسطة البنوك أو بواسطة المصارف، فيصل إليه ما يكفيه، ولكن إذا وجد منقطع؛ سواء له مال في بلده ولا يقدر عليه أو ليس له مال، فإنه يدخل في ابن السبيل. قوله: { ويجوز الاقتصار على واحد منهم، لقوله -صلى الله عليه وسلم-... إلخ: } أي: لو كان عندك زكاة فصرفتها كلها إلى الفقراء أجزاء، أو صرفتها على الغارمين أجزاء، أو صرفتها لأبناء السبيل أو للمجاهدين كلها أجزاء ذلك؛ لأنها وقعت موقفا. وذهب بعض العلماء إلى أنها تقسم ثمانية، فكل من كان عنده زكاة فإنه يقسمها ثمانية أسهم؛ حتى يعم الثمانية، والصحيح أن ذلك ليس بلزم. والدليل على ذلك أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لما بعث معادا إلى اليمن قال له: { إنك تأتي قوما من أهل الكتاب ... إلى قوله: فإن أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم } انظر تخريجه في المتن: فاقترض هنا على الفقراء، فدل على أنه من أداها للفقراء فقد برئت ذمته.